

دور الأمثال الشعبية في التنشئة الاجتماعية

نورية سواملية

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر،

n.soualmia@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 16 / 06 / 2018 ؛ تاريخ القبول: 11 / 10 / 2018

The role of popular proverbs in socialization

Abstract:

This research based on the popular proverbs and their role in the process of socialization through a field approach on a sample of children and youth, to monitor the most important proverbs they know and discuss in their daily lives.

The results of this study show that popular proverbs increase the social and moral values of society and give young people the common social behaviors and relational models, and on the other hand, some popular proverbs embody the utilitarianism values and call for violence in various forms.

Keywords: Popular Proverbs; Socialization; Social values; Moral values; Social relations.

الملخص:

تقف إشكالية هذه الورقة البحثية عند الأمثال الشعبية ودورها في عملية التنشئة الاجتماعية من خلال مقارنة ميدانية على عينة من الأطفال والشباب، من أجل رصد أهم الأمثال التي يعرفونها ويتداولونها في حياتهم اليومية.

بينت نتائج هذه الدراسة أن للأمثال الشعبية دور في ترسيخ القيم الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع، وأيضا إكساب النشء السلوكيات الاجتماعية والنماذج العلائقية المتعارف عليها في المجتمع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد بعض الأمثال الشعبية تجسد قيم النفعية، وتدعوا إلى العنف بأشكاله المتعددة.

الكلمات المفتاحية: الأمثال الشعبية؛ التنشئة الاجتماعية؛ القيم الاجتماعية؛ القيم الأخلاقية؛ العلاقات الاجتماعية.

مقدمة:

تعد الأمثال الشعبية مكون من مكونات الثقافة، وسمة من سمات المجتمع، من خلالها يمكن التعرف على خصائص المجتمع وعاداته وتقاليده وقيمه...، فهي تحمل في طياتها دلالات اجتماعية وثقافية عن مظاهر الحياة العامة السائدة في المجتمع، تعد المرآة العاكسة لحالته، ويتم تداولها وحفظها و توارثها من جيل إلى جيل عبر عملية التنشئة الاجتماعية.

إن الأمثال الشعبية خير أدوات للضبط الاجتماعي، وتقويم السلوك الاجتماعي، يتعلم من خلالها الفرد مختلف القيم والأفعال والممارسات التي يقر بها المجتمع، فتلعب دورا فاعلا في ثقافة الشعوب، ولها تأثيراتها المباشرة في السلوك الاجتماعي، حيث يستحضر المثل باعتباره شاهدا على تأكيد فكرة وتعزيزها أو رفضها، ويكون في الكثير من الأحيان الدليل أو المرجع للأراء والسلوكات، للتمثيلات والممارسات.

ومنه نحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على بعض الأمثال الشعبية التي يزخر بها المجتمع الجزائري، وتبيان دورها في

عملية التنشئة الاجتماعية بالتركيز على نقطتين أساسيتين، هما: القيم الأخلاقية والعلاقات الاجتماعية. نقف على التساؤلات التالية: ما دور الأمثال الشعبية في إرساء القيم الأخلاقية؟ وفيما يتمثل دورها في نسج العلاقات الاجتماعية؟ وما شكل هذه العلاقات التي تدعوا إليها الأمثال الشعبية الجزائرية؟

لقد توصلنا إلى جملة الأمثال الشعبية التي ذكرناها في بحثنا هذا من خلال دراسة ميدانية على عينة من الأطفال والشباب، وصلت 100 وحدة مقسمة إلى 50 طفلا و50 شابا، تراوحت أعمار عينة الدراسة ما بين 7 سنوات إلى 25 سنة، طلبنا منهم أن يكتبوا لنا الأمثال الشعبية التي يعرفونها ويتداولونها في حياتهم اليومية. على هذا الأساس تم تصنيف هذه الأمثال إلى أمثال خاصة بتعليم القيم، وأمثال متعلقة بالنماذج العلائقية وشكل الروابط الاجتماعية.

أولاً: التنشئة الاجتماعية: مفهوم وأهمية

تعد التنشئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تعرف على أنها «عملية التفاعل الاجتماعي التي يكتسب فيها الفرد شخصيته الاجتماعية التي تعكس ثقافة مجتمعه» (الشناوي محمد حسن وآخرون، 2001: 15)، فالإنسان لا يولد اجتماعيا، بل يصير كذلك بفعل التنشئة الاجتماعية التي تمارسها عليه الأسرة والمجتمع وتنتقل إليه من خلال عمليتها ثقافة المجتمع وتمكنه من اكتساب دور أو مجموعة من الأدوار، بممارستها يندرج في المجتمع ويحتل مكانته فيه ككائن اجتماعي (حمدادي محمد، 2005: 108)، وعليه

فالتنشئة الاجتماعية تمكن الفرد من مسيرة مجتمعه والاندماج في الحياة الاجتماعية.

ويعرفها بارسونز على أنها «عملية تعليم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية دمج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية مستمرة» (الشناوي محمد حسن وآخرون، 2001: 16)، تبدأ بميلاد الفرد وتنتهي بنهاية حياته، وفي هذا الصدد يقول نوربرت إلياس N. Elias: «إن الفرد الصغير لا يكتسب اللغة إلا عندما يكبر في مجتمع الكبار، يضبط من خلالها الغرائز وتمكنه من اكتساب رؤية بعيدة المدى. إن اللغة التي سوف يتحدث بها ومخطط ضبط الغرائز التي سوف يتبعه، نموذج أو نمط ممارسات الكبار التي يطورها. كل ذلك يتوقف على تاريخ وبنية الجماعة الإنسانية التي يولد فيها، ويتوقف أيضا على تاريخه الخاص ووضعيته داخل هذه الجماعة» (ELIAS N, 1991: 58)، بمعنى أن اكتساب الفرد لكل الأنماط السلوكية المختلفة، اكتساب الأفكار والقيم والمعايير والانفعالات تناسب الأدوار والمكانة الاجتماعية التي يتقلدها هذا الفرد في مجتمعه؛ حيث يرتبط بكل مكانة نمط من السلوك المتوقع، فالذكر على سبيل المثال له وضع اجتماعي يترتب عليه سلوكيات اجتماعية متوقعة بعكس الأنثى.

إن للتنشئة الاجتماعية دور كبير في المحافظة على القيم الاجتماعية وعلى العادات والتقاليد، من أجل الحفاظ على التوازن الاجتماعي، والمحافظة على ديمومة واستمرار المجتمع، تقوم بهذه المهمة مجموعة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية أهمها الأسرة، فما يتعلمه الفرد فيها يبقى

معه طول حياته، و«عن طريقها يكتسب الطفل قيمه الاجتماعية ومعاييره وسلوكه، فهي لذلك تعد الجماعة الأولية التي تكسب الناشئ الجديد خصائصه الأساسية، والتي تتصف بالارتباط والتعاون والتضامن والتآلف فيما بينهم» (السيد عبد القادر شريف، 2002: 17)، تعمل الأسرة على الحفاظ على المجتمع وعاداته وتقاليده، وتبقى هي الخلية الأساسية في بناء المجتمع، أين يكتسب الفرد أهم اتجاهاته النفسية والاجتماعية، وهي مصدر الأخلاق والرعاية الأولى لضبط السلوك. كما تعرف الأسرة على أنها: «مسرح التفاعل الذي يتم فيه النمو والتعلم، والعالم الصغير للطفل الذي به تتكون خبراته عن الناس والأشياء والمواقف، كما يظل البيت حامي الطفل وملاذه الذي يلجأ إليه بلهفة وتعلق» (الدسوقي كمال، 1979: 335). من المؤسسات التنشئية أيضا المدرسة والمسجد وغيرهما؛ التي تسعى إلى تلقين القيم الاجتماعية والعمل على تقويم سلوك أفراد المجتمع وتعزيز الروابط الاجتماعية، تستخدم الأمثال الشعبية كموروث ثقافي.

ثانيا: الأمثال الشعبية: مفهوم ومصادر

تعد الأمثال «من أهم الفنون الشعبية، التي تكشف عن مختلف التيارات الاجتماعية، ومن خلاله يمكن التعرف إلى طبيعة العلاقات بين أفراد المجتمع، وفي جميع نواحي الحياة» (شعلان إبراهيم أحمد، 1972: 5)، كما تعرف الأمثال الشعبية على أنها «ظواهر اجتماعية موجودة في المجتمع، تسبق وجود الأفراد وتبقى بعد فنائهم، وهي تسري بين الناس فتظهر على أقلامهم وتتناثر على ألسنتهم، وتكون لهم دستورا غير مكتوب يأخذون به في معاملاتهم بعضهم مع بعض. والأمثال الشعبية بشرية

وواقعية، تتحدث عن السعادة والشقاء، والغنى والفقر، واليسر والعسر، والجمال والقبح، والقوة والضعف، والكرم والبخل» (الساعاتي سامية، 2002: 312)، فهي تمس مختلف أوجه الحياة يتم تناقلها جيلا عن جيل. وإن المثل وليد البيئة التي أنتج في اطارها ووليد تجربتها الطويلة، إنه يتصل بكل مناحي الحياة الإنسانية» (غانم إبتسام، 2015: 3)

تعتبر « الأمثال حكم الشعوب والأمم ، تبدو فيها نظرتها إلى الحياة ومذهبها إلى أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية ، فهي تكشف عن جوانب شتى من حياتها اليومية وكثير من عاداتها وتقاليدها ولها قداستها في نفوس الناس ، بما تتضمن من أحكام يرتضونها » (كيال منير، 1997 : 13). ويعرف المثل كذلك على أنه «قول مأثور، تظهر بلاغته في إيجاز لفظه، وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة، وأخذ ليقال في مثل تلك المناسبة» (طاهر جمال وداليا جمال طاهر، د س: 24 - 25). فالأمثال تردد لخلاصة التجربة اليومية التي صارت ملكا للمجموعة الاجتماعية وجزءا لا يتجزأ من سلوكها وممارساتها في حياتها اليومية. كما أنها من الناحية الوظيفية العملية تريح النفس وتواسيها بما تتضمنه من حكمة وفلسفة عملية. هذا فضلا عما تنطوي عليه من أحكام خلقية تستقبح الرذيلة، وتمجد الفضيلة. إنها «إبداع في العبارة وإبداع في المعنى وإبداع في المعالجة» (الساعاتي سامية، 2002: 312).

و«يتمتع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة، كما أن المثل جملة دقيقة العبارة، وغالبية الأمثال جمل موسيقية متجانسة الأوزان والكلمات، سهولة الإلقاء والتناقل والحفظ، لها إيقاع خاص» (طاهر

جمال وداليا جمال طاهر، د س: 26)، فالأمثال تعد كلمات مختصرة واضحة موسيقية التركيب ذات وقع طيب على السمع، تحمل حكمة معينة أو فكرة ذات مغزى، تختار عادة بعناية ودقة، ويكون لها وقعها الخاص وجاذبيتها المميزة.

يستمد المثل من عدد من المصادر: (صيفور سليم، 2015: 117) - ما استمد من حكاية أو نكتة شعبية، وقد يستعمل المثل بين الناس، ولا يعرف كل من يستعمل تفاصيل الحكاية أو الحادثة التي وراءه، وإنما يتعاملون مع الإيحاء العام لعبارة. - ما اقتبس عن الفصحى بنصه أو بشيء من التغيير الطفيف: (البطن ما يملأها غير التارب) وهو تعبير عن المثل المعروف: «ما ملأ ابن آدم وعاء شارب من بطنه».

- ما استمد من كتاب التراث الطبي الأدبي. - المستمد من الأغاني الشعبية: ما يحس بالجمرة غير اللي كواتو - ومن الأمثال ما هو عصارة تجارب وممارسات عديدة كانت تلجأ إليها بعض الشعوب، وهذا ما يدخل ضمن إطار ما يسمى بالطب الشعبي أو التقليدي.

- وهناك أمثال تحمل بصمات معتقدات قديمة جداً، مما يشير إلى قدم هذا التراث الذي وصلنا. - و أمثال تحمل ملاحظات دقيقة لأعماق النفس البشرية، أو التجربة الإنسانية العامة.

- وما يلحق بالأمثال تعابير، أعجب الناس بجماليتها أو بالصورة الكاريكاتيرية الساخرة فيها مثل عن شخص يدعي الممرض: «عطوني و إذا طاب شيء أعطوني».

- لا شك بأن هناك أمثال مستمدة من خلال التعامل مع شعوب وثقافات أخرى، ومنها كتب الديانات الثلاثة، ومصادر أخرى مثل: «النظافة من الإيمان و الوسخ من الشيطان»

عموما الأفراد هم المصدر الحقيقي للأمثال، هم الذين يبدعون هذه الحكمة وهم الذين يعطوها القوة الدافعة للانتشار والنفوذ في التصورات والتمثيلات التي تظهر في ممارساتهم وفي علاقاتهم الإنسانية بشكل عام؛ حيث يتم تداولها واستحضارها بشكل مستمر، من أجل تدعيم الأفعال، وتبرير الممارسات، وتقويم العادات. وبالرغم من أن مصدر الأمثال الشعبية هم الأفراد إلا أن هناك أمثال كثيرة مستقاة من آيات كريمة، أو أحاديث نبوية شريفة ومن التراث الفكري والثقافي للمجتمع. فالمثل الشعبي «وسيلة ثقافية تربوية أساسية، في غرس القيم والعادات الاجتماعية في نفوس الأفراد وهو بنفس الوقت قيد وضابط وقاعدة تنظم التعامل والتواصل بين الناس» (السَّاد جلال غربول، 1992: 217).

إذن إن للأمثال على اختلاف أنواعها تأثير كبير على تمثيلات وممارسات الأفراد، بما تمتلكه من سلطة إقناعية كان من الضروري أن تتم دراستها، وما يعيننا هنا هو الأمثال الشائعة والمتداولة بين الأطفال والشباب والتي لها حضور وتأثير في حياتهم، وعلاقاتهم الاجتماعية.

ثالثا: الأمثال الشعبية وترسيخ القيم

تعتبر الأمثال الشعبية بمثابة الموجه للسلوكات وفق ما تملّيه القيم الأخلاقية للجماعة الاجتماعية، كما تقوم بوظيفة الرقيب والضابط

للممارسات والسلوكيات الاجتماعية، يحفظ من خلالها المجتمع كيانه ووجوده ومثله الاجتماعية. ومن الأمثال المرتبطة بترسيخ القيم الدينية والأخلاقية نذكر:

المحافظة على الدين «إذا تخلطت لأديان شد دينك» : يضرب هذا المثل عندما تختلط الأمور على شخص و ينصح له بالثبث على مبادئه و أفكاره

«كي السردوك يعرف لاوقات وما يصلش» يدعوا هذا المثل إلى المحافظة على الصلاة

الايان بالقضاء والقدر «اللي مكتوب في الجبين تشوفو العين» «المكتوب في الجبين ما يحوه اليدين» هذان المثالان يقران بالقضاء والقدر وأن كل ما هو مكتوب عند الله لا يمكن استبداله أو التغيير فيه، ومنه المثل «لي ماهيش كاتبه من النعم الطيح» يقال في الامر الذي يوشك ان يحصل تم لا ينالها صاحبها، والمثل «قسم حد ما ياكله حد» بمعنى كل فرد وله قسمته في هذه الدنيا.

الطاعة للوالدين: «وين بيها يا عاصي الوالدين» «الله يحفظني من العين ودعوة الوالدين» «لي مارضى والديه ما خير فيه»، وكلها تؤكد على ضرورة طاعة الوالدين والمحافظة على رضا الوالدين.

تعليم القيم الأخلاقية

تدعوا الأمثال الشعبية إلى الكرم، فيقال: «صرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب»، كما تدعوا للتحلي بصفة الحياء «لحيا من الدين» وهنا تأكيد على أن مفهومي الحياء والدين مرتبطين.

تؤكد على الرضا والقناعة «شوف لي تحت منك ما تشوفش لي فوق منك» «البركة في القليل» «لي ماهو ليك يعيبك» لي ما داق المر ما يعرف قيمة الحلو» وكلها تدعوا إلى ضرورة الرضا والقناعة بما قسمه الله للأفراد. وهناك مثل آخر «حشيشة طالبة معيشة» يدل على القناعة بالقليل وعدم الطموح.

تدعوا الأمثال من جهة أخرى إلى ضرورة حفظ اللسان: «لسانك صنتو صانك خنتو خانك» «الفم المبلع ما يدخله دبابة» «الحديث قياس فيه الفضة وفيه نحاس» من القيم الأخلاقية أيضا الوفاء بالوعد: «الراجل يتكثف من لسانه» تأكيد على الوفاء بالوعد، «الكلام كي البارود إذا خرج ما يوليش» معناه عدم الرجوع في الكلمة، «راس المال الراجل كلمته» فكلمة الرجل هي شرفه ورأس ماله.

فعل الخير هي من القيم التي تقرأها الأمثال، فيقال: «سعدك يا فاعل الخير» «درت الخير كمله» «دير الخير و انساه و دير الشر وتفكرو»، أي إذا أسديت معروفا فلا تذكره حتى لنفسك و إن أخطأت فتذكر دائما. وكذلك ضرورة الأخذ بالنصيحة، يقال: «سمع للكلام الي بكيك ومتسمعش للكلام الي ضحكك» «أنا نوصيك يا سعيد وانت في العمى تزيد» «لي فائتك بليلة فائتك بجيلة»

من القيم أيضا الصبر: «لي يحب شباح ما يقول آح» يقال هذا المثل للذي يجب عمل شيء ما عليه أن يحتمل المعاناة في الحصول عليه ولا يشتكي. وضرورة أن يكون الفرد حذرا يأخذ الحيطه في ممارساته: «ما ناكل بصل مانحصل»، «الحيط بوذنيه» يقال من أجل الحذر من المتصنتين على الأبواب والجدران. يكون أيضا فطنا، فيقال: «الفاهم يفهم بالغمرة

والحمار يفهم بالدبزة » يقال في من يفهم بسهولة ومن يفهم بصعوبة، «يرقد بعين واحدة كي النديب»: يضرب هذا المثل للفرد الفطن جدا لا يأمن غره و لو لحظة. ومثل آخر يقال في أهمية الفطنة «راس بلا دبارة للخسارة»

الحث على العمل: «أخدم باطل ولا تقعد عاطل» « يفنى مال الجدين وتبقى حرفة اليدين» «تسبب يا عبدي وأنا نعينك» أخدم يا صغري لكبري وخدم يا كبري لقبري» «أخدم الرجال سيدهم» يقال لمن يرى في عمله خطأ من قيمته «الخدمة مع النصارى ولا القعداد خسارة» العمل حتى مع من يختلفون في الدين والملة. ويقال أيضا «أحركوا ترزقوا». فالعمل عبادة وسعادة في ان واحد

العيوب الأخلاقية: يقال في الطمع «الطمع يفسد الطبع»، ويقال في الجشع «على كرشوا خلى عرشوا»، بمعنى حتى لو أهلك أهله ، أما عن ناكل الخير يقال «ياكل من الشجرة ويقطع عروقها» وعن التهور يقال «الخبر يجيىه التوالى» ، في الظلم والتعدي يقال: «الحمار حماري وركوبي من اللور (من الخلف)»، من العيوب الأخلاقية أيضا الحقد، فالأمثال تدعوا إلى نبذ الأحقاد، فيقال: «المومن ما يكون حقود»
التأني وعدم التسرع: «جا يسعى ودر تسعة» لا يحصل على مراده ويضيع ما كان عنده، «جا يكحلها عماها» «كي يزيد نسموه بوزيد» «الصفوف تنباع بالرزانة»

التعاون: «المعاونة تغلب السبع» «يد واحدة ما تصفق» «مول التاج ويحتاج»، بمعنى أن التعاون أساسي وبه يكتمل الجنس الانساني، فكل فرد محتاج إلى غيره.

عاقبة الأمور: «ربي يخلف على الغابة وما يخلف على الخطاب» «اللي يزرع الريح يحصد غبارو» «لي زرع الشوك يحصده» دليل على أن الخير ينتج عنه الخير والشر ينتج عنه الشر، فتتأجج الأفعال على حسب صفاتها. كما تحذر الأمثال الشعبية من عواقب الأفعال الشريرة، فيقال: «لي ضربتوه يده ما يقول أح» «يا قاتل الروح وين تروح» دعوة بلا دنوب تولي لراس مولاه وتدوب» «لي دارها بيديه يحلها بسنيه» كما تدعوا بعض الأمثال الشعبية إلى قيم أخرى أساسها النفعية الفردية وإرساء ثقافة قانون الغاب، كما وتحمل في طياتها دلالات ودعوات فاضحة للاستخدام المفرط للعنف، ومن الأمثال الدالة لذلك نذكر منها:

«وقت حاجتي لقول للكلبة خالتي»

«العصا لمن عصا»

«اضرب مارتك ديمى إذا انت ماتعرفش علاه هي تعرف» عنف وعدم الثقة بالمرأة.

«الحوت ياكل الحوت وقليل الجهد يموت» «لي معندهش الفلوس حتى كلامه يولي مسوس»

«العبها بهلول تشبع كسور»: يدعو إلى التحايل.

كما تدعو إلى الاستسلام والخضوع: فيقال «الله غالب يا الطالب» «واش يدير الميت في يد غسالو»

«وين بيان خيطك في البردعة»: دليل على الاستهزاء واحتقار عمل شخص أو حالته أمام الآخرين.

رابعا: العلاقات الاجتماعية في الأمثال الشعبية

لقد شخصت الأمثال الشعبية العلاقات الاجتماعية وحددتها، كعلاقة الأخوة، علاقة الزواج، علاقات القرابة، علاقات الجيرة.... كما ساهمت الأمثال الشعبية في رسم الخطوط العامة يسير بموجبها الأفراد خلال روابطهم الاجتماعية.

تبدأ العلاقات الاجتماعية بفعل اجتماعي يصدر عن شخص معين يعقبه رد فعل يصدر من شخص آخر، ويطلق على هذا التأثير المتبادل بين الشخصين أو بين الفعل ورد الفعل اصطلاح التفاعل، فالتفاعل يعد محور العلاقات الاجتماعية يَكُن الإنسان من التواصل مع الآخرين، ويعني الأخذ والعطاء أو تأثيرا متبادلا بين فردين أو أكثر. إنه علاقة مواجهة مباشرة بين شخصين أو أكثر بحيث يتعين عن كل فرد أن يضع الآخرين في اعتباره وتقديره عند قيامه بفعله (سوامية نورية، 2015: 150).

إن التفاعل الاجتماعي هو عملية تشكل مستمر وليست استجابة لمعايير وقواعد يحكمها الفاعلون وتملي عليهم سلوكهم ومواقفهم، وهو لا يتم من خلال اللغة والخطاب فقط، بل يتعلق كذلك برمزية الحركات الجسدية المرافقة للكلام أو بدونه، وحسب قوفمان E. Goffman لو استطاع الفاعل التوقف عن الكلام فإنه لا يستطيع أبدا التوقف عن التواصل عبر لهجة الجسد. لقد عمد قوفمان في اقترابه ودراسته للمجتمع إلى التركيز على الأفعال والنشاطات المتبادلة للأفراد، بحيث صب اهتمامه على التفاعلات الاجتماعية وعملية الإخراج (التمسرح) للنظام الاجتماعي (Cf. GOFFMAN E., 1973) تكون فيه القواعد والطقوس والممارسات مضبوطة ومقننة (Cf. GOFFMAN E., ritualisées).

(1974)، ويضيف قوفمان E. Goffman بأن التفاعلات وجها لوجه تشكل شبكة الاجتماعي، والتي يتم ضبطها عن طريق طقوس التفاعل (قواعد اللياقة، كيفية التحدث والكلام....) والتي تسمح للأفراد بتقديم صورة حسنة، وعليه يشبه الحياة الاجتماعية بالمرح يلعب فيه الأفراد أدوارا على خشبته حتى لا يفقدون ما أسماه بماء وجههم، فالمجاملة الاجتماعية ضرورية في التفاعل الاجتماعي بين الأفراد. ويسعى كل فاعل في كل لقاء على تقديم صورة قيمة عن نفسه حتى يحض بقبول الآخرين، مع الحرص على عدم الكشف عن حقيقته لهم، فهي أحد الرهانات الرئيسية للتفاعل الاجتماعي، كما «تحدد مكانة الفرد في ضوء إشارات اصطلاحية كاللباس والمظهر، ويتضاءل فن الحياة بالتدرج ليصبح مجرد لعبة على أسطح رقيقة أو مجرد دراسة فضولية للأزياء وأنماط السلوك» (بارك روبرت وآخرون، 1988: 52-53).

على هذا الأساس يقال في المثل الشعبي «كول ألي يعجبك و إلبس للي يعجب الناس» ، بمعنى أن يتقيد الفرد في ممارساته بما يرغب فيه المجتمع، ومنه اللباس، كأحد السلوكيات الظاهرية. يقال أيضا «اللسان الحلو يرضع اللبة» «باللسان تملك الناس»، أي التواصل الاجتماعي أساسه اللغة التي يجب أن تكون جميلة تقدر الآخرين فيقدرونك، وفي هذه الأمثال تعليم لآداب السلوك واللباقة، باعتبار أن الفرد يتعامل في إطار التبادلات والتعاملات الاجتماعية.

وباعتبار أن التبادل يؤدي إلى وجود التفاعل الاجتماعي، كما أن «فعل الفرد الواحد يجري تعريفه وتحديد جزئيا من خلال أفعال الآخرين» (دوبريه بودوان، 2001: 51) ، من شأن هذا التبادل أن يولد

لدى الفرد «أفكار ومعتقدات وردود فعل شعورية وحاجات وطباع (...). كل ذلك هو تعبير عن شبكة العلاقات التي ينبثق عنها الفرد ويندرج ضمنها» (ELIAS N., 1991:72)

ومن الأمثال الشعبية التي تؤسس لموضوع التبادل نذكر: المثل القائل «من عندي ومن عندك تنطبع و من عندي وحدي تنقطع » يدل على وجوب أن يكون تبادل بين الناس و إلا تنقطع العلاقات . يقال أيضا «اللي باعك بالفل بيعه بقشوره» يضرب هذا المثل في مقابلة الإساءة والغدر بما هو شر منهما.

ترتبط العلاقات الاجتماعية بمجموعة من المعايير كمبدأ الاحترام ومعرفة الفرد قيمة ذاته فلا يتخطاها: فيقال «لبس قدك وخالط نذك واعرف حدك» «قد ما تكبر العين الحاجب فوقها» «عاش من عرف قدره» فيخالط من هم في مستواه. ويضرب مثل آخر يؤكد على العلاقات الجديدة مع ضرورة الحفاظ على العلاقات القديمة «الجديد حبو والقديم ما تفرط فيه»

وفيما يلي نذكر بعض الأمثال الشعبية المتداولة في مجتمعنا، والتي تخص بالتحديد علاقات القرابة، علاقات الجيرة، وعلاقات الصداقة:

علاقات القرابة:

«الدم ما يولي ماء» «ما يحك ظهرك غير ظفرك»
«كل خنفوس في عين امه غزال» هنا تأكيد على علاقة الأم بطفلها، فهي تراه دائما أحسن الناس.

«للحم مين يفوح ياكلوه مواليه» وهذا المثل يطلق على الفرد الذي يواجه أزمة أو مشاكل أو ارتكب عملاً مرفوضاً اجتماعياً، فيلجأ إلى أهله وإخوته للدفاع عنه ومناصرتة.

يقال أيضاً في علاقة الأخ بالأخ: «خوك يمضغك لاكن ميبلعكش»: بمعنى أنه حتى إذا توثرت العلاقة بين الإخوة فلن يضر أحدهم بالآخر. «خوك خوك لا يغرك صاحبك»: وهنا تأكيد على أن علاقة الأخوة تأتي في المرتبة الأولى ثم الصداقة، الذين لا يمكن أن يصلوا إلى مرتبة الأخوة.

«أنا وخويا على بن عمي، وأنا وابن عمي على البراني أو الغريب» فهذا النوع من الأمثال لا يشجع على إحقاق الحق ونصرة المظلوم بقدر ما يشجع على عقد تحالفات تكون الأسرة الصغيرة أساسها ثم يتوسع هذا التحالف إلى الأسرة الكبيرة وهكذا. وهنا تأكيد على علاقة الأخوة وضرورة التمسك بها، فهي روابط دموية أساسية في المجتمع.

إلا أننا نجد بالمقابل أيضاً مجموعة من الأمثال التي تدعو إلى الابتعاد عن علاقات القربى، فيقال: «دمك هو همك»

علاقات الجيرة:

يقال في قيمة الجار «الجار قبل الدار»، أو «أشتري الجار قبل الدار»، هذان المثلان لهما مصدر متأصل، فالعرب «تقول في أمثالها: 'الجار ثم الدار' قال الميداني: هذا كقولهم: الرفيق قبل الطريق، وكلاهما يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو عبيد: كان بعض فقهاء أهل الشام يحدث بهذا الحديث ويقول: معناه إذا أردت شراء دار فسل عن جوارها قبل شرائها» (شعلان سميح، 2009: 362-363)، فقبل شراء بيتا لا بد من البحث أولاً من سيكون الجار، وضرورة التأني في اختيار الجار قبل

المبادرة في شراء أو كراء سكن، ولا بد من السؤال عن الجيران وعن طبيعة تفاعلهم مع الآخرين، مما يسهل عملية التلاقي والتعايش بالمحيط السكني، كما أن الجار الطيب يكون مصدر راحة وطمأنينة داخل المسكن أما الجار السيء فيكون مبعث إزعاج يقال «للي علتته من جاره يموت ولو كان الطيب حده» والمقصود أن الفرد الذي لا يكون على وفاق مع جاره، يعيش شقيا تعيسا وهي بمثابة موت له. وهذا ما يبين مدى تأثير الجوار على الأفراد فإما خيرا أو شرا، لذا وجب اختيار من يجاورنا، وهنا تقديم لرابطة الجيرة عن الرابطة المكانية.

يقال في أمثالنا الشعبية أيضا «عمل كما يعمل جارك ولا بدك باب درك»، بمعنى التقيد بما يمارسه الجار وعدم الاختلاف معه، دليل على تقوية الروابط بينهم. «جارك القريب ولا خوك البعيد»، أي أن الجار القريب أقرب من أخ بعيد، باعتبار أن الجار يكون أقرب إلى جاره من أخيه حين يحتاج إلى عون أو مساعدة عاجلة، فرابطة الجيرة هنا تبرز كبديل عن رابطة الأخوة.

وفي هذا الشأن تؤكد الأمثال الشعبية والمتوارثة عبر الأجيال على قيمة الجيرة، ومحاولة الحفاظ على الألفة والعلاقات الطيبة بين الجيران، وإن توثرت هذه العلاقات فلا يجب أن تتمادى، يقال «صباح الخير يا جاري أنت في حالك وأنا في حالي» بمعنى ضرورة مراعاة الجار وداره ولو تعدى وظلم، يبقى جار له حقوق على جيرانه، وهذا كله تأكيد على علاقة الجيرة وضرورة استمرارها وعدم مقاطعة الجيران حتى لو كانت هذه العلاقة سطحية تتلخص في التحية والسلام فقط دون التزاور

والخلطة، وتفادي للمشاكل يقال «بلع باب دارك أحسن لك وللجار» وهذا ما نجده اليوم في مجتمعنا، أين استقل الجار بحياته، وأغلق بابه، واقتصرت علاقات الجيرة في التحية عند ملاقة الجار صدفة.

علاقات الصداقة:

الصداقة أيضا رابطة مهمة اهتمت بها الأمثال الشعبية، فيقال «الصديق وقت الضيق»، «قولي مع من راك نقولك شكون انت» «قولي مع من تمشى نقولك شكون انت» فالفرد مرآة لصديقه يقف معه في السراء والضراء، ويقال «عند الشدة والضيق يظهر العدو والصديق».

ويقال أيضا في اختيار الصديق: «ما تخلط روحك بالنخالة ما يتقبوك الدجاج» يضرب هذا المثل على الذي لا يحسن اختيار أصدقائه فيتأذى منهم. «كثير لصحاب يقعد بلا صاحب» بمعنى من كثر أصدقائه يبقى بمفرده. وإن توثرت العلاقة لا يجب فضح الأسرار كما يقال «خلاك خليه ولا تشمت العدو عليه». يقال أيضا «العدو ما يولي صديق ونخالة ما تولي دقيق» «البصلة ما تولي تفاحة والدوني ما تنفع فيه الملاحه» بمعنى الأفراد السيئين لا يمكنهم أن يكونوا طيبين، ولا يجب أن نعتبرهم أصدقاء، لأنهم يخفون داخلهم الشر.

كما لا تخلوا الأمثال من الجانب النفعي في العلاقات فيقال: «صاحبك هو جيبك»

العلاقات الاجتماعية الأخرى:

اهتمت الأمثال الشعبية أيضا بعلاقات اجتماعية أخرى، كالقيادة والشراكة: فيقال في القيادة: «زوج رياس يغرقو بابلور»: معناه لا يقود

جماعة أو يقرر أمرا إلا شخص واحد، أما الشراكة، فيقال فيها: «الشركة هلكة لو كان في طريق مكة»: أي لا يجب الشراكة بين شخصين في أمر ما لأنها حتما تؤدي إلى هلاك أحدهما.

وفي حالة انقطاع العلاقة يقال في الأمثال الشعبية: «طريق السدلي تدي ما ترد»: نوع من الدعاء على الآخرين بعدم الرجوع، أي أن الطريق التي يأخذها لا يمكنه الرجوع منها. «خسر وفارق»: بمعنى الفراق أساسي عند توثر العلاقة حتى لو انجرت عنها الخسارة. **خاتمة:**

إن للأمثال الشعبية قيمة فنية وبلاغية كبيرة خاصة في مجتمعنا، تعمل على الحفاظ على القيم الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع، وكذا على النماذج السلوكية والعلائقية المتعارف عليها، تداولها بين الأفراد (أطفال أو شباب) تعطيها المشروعية والشرعية لدوامها واستمرارها في الوعي الجمعي. إلا أن بعض هذه الأمثال لا تخلوا على نوع خاطئ من التنشئة الاجتماعية، فهي تعمل على ترسيخ العنف بصيغته الرمزية واللفظية والاجتماعية، وقيم النفعية.

فبالرغم من أن للأمثال الشعبية أهمية كبيرة في التنشئة الاجتماعية لما تحتويه من خبرات نافعة وحكم وتجارب وقيم عديدة تتضمن من جهة أخرى مجموعة من القيم المتعارضة، والتي بالإمكان محاصرتها ومواجهتها من خلال التعاون بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية من أجل بناء مجتمع متطور، يتبنى خطاب حماية الحريات والحقوق ونشر قيم التقدم والعمل على منع قيم التخلف في أفكار وأفعال الفرد والمجتمع.

قائمة المراجع:

- بارك روبرت -ارنست برجس- رودرك ماكينزي، (1988). المدينة، تعريب: سيد عبد العاطي وأبو بكر أحمد باقادر، ط1. جدة: وكالة تبر للدعاية والنشر والإعلام، جدة.
- حمداوي محمد، (2005). البنيات الأسرية ومتطلبات الوظيفة في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين (قرى العزائل نموذجاً)، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة في علم الاجتماع، جامعة وهران.
- الدسوقي كمال، (1979). النمو التربوي للطفل والمراهق. بيروت: دار النهضة العربية.
- دوبريه بودوان، (2001). «تواصل الذوات والمؤسسات والتاريخ. حاشية على التفاعل والاكراه»، ترجمة إيمان فرج ، متون عصرية في العلوم الاجتماعية: نوربرت إيلياس -التمدن بين الاجتماع والتاريخ-، المطبعة الذهبية، القاهرة، ع. 2.
- الساعاتي سامية، (2002). «الإبداع في المثل الشعبي (تحليل اجتماعي لبعض الأمثال العربية)»، من: التراث والتغير الاجتماعي (تقارير بحث)، الكتاب الثاني: التراث الشعبي في عالم متغير قراءات تأسيسية، ط1. القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.
- السنّاد جلال غربول، (1992). المثل الشعبي ودلالاته الاجتماعية. دمشق: دار الهجرة.

- سوامية نورية، (2015). الرابط الاجتماعي الحضري، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الاجتماع (أنثروبولوجيا)، جامعة وهران2.
- السيد عبد القادر شريف، (2002). التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، ط2. دار الفكر العربي.
- شعلان إبراهيم أحمد، (1972). الشعب المصري في أمثاله العامة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- شعلان سميح، (2009). «ملامح التغير في العلاقات الاجتماعية كما يعكسها اختار الموقع السكاني»، من: المدينة العربية بين التغيرات الاجتماعية وتحولات المجال. بيروت لبنان: منشورات بيروت مركز الأبحاث.
- الشناوي محمد حسن وآخرون، (2001). التنشئة الاجتماعية للطفل، ط1. عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع.
- صيفور سليم، (دسمبر 2015). «العنف في مضمون الأمثال الشعبية. دراسة تحليلية»، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي، ع. 13-14، ص ص 112-120.
- طاهر جمال وداليا جمال طاهر، موسوعة الأمثال الشعبية (دراسة علمية)، من الموقع الإلكتروني: www.kotobarabia.com.
- غانم ابتسام، (جوان 2015). «أمثال الشعبية مرآة عاكسة لثقافة المجتمعات»، مجلة التراث، خبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، جامعة زيان عاشور الجلفة، ع. 18، ص ص 1-12.

- كيال منير، (1997). معجم دُرر الكلام في أمثال أهل الشام. مكتبة لبنان

ELIAS N., (1991), **La société des individus**, traduit de l'allemand par Jeanne Étoré. Paris: Fayard.

GOFFMAN E., (1973), **La mise en scène de la vie quotidienne**, Paris: Les éditions de minuit.

GOFFMAN E., (1974), **Les rites d'interaction**, Paris: Les éditions de minuit.